

عنوان البحث:

تفسير البيضاوي: أهم مصادره، ونبذة عن منهجه العلمي.

ملخص البحث:

تناول البحث موجز عن حياة الإمام البيضاوي ونشأته العلمية التي لها أثر واضح على كتابته للتفسير، ثم أهمية تفسيره وقيمته من خلال تعريف مبسط بأهم مميزاته، ثم عرض مظاهر اهتمام العلماء به، وأهم من اعتمد عليه من العلماء قبله وكيف استفاد منهم، ثم بيان عنايته بأصول التفسير من تفسير للقرآن بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين وموقفه من الروايات الإسرائيلية، ثم وصف منهجه في التفسير في بعض الجوانب، خاصة فيما يتعلق بجانب العقيدة وعلم الكلام، وآيات الأحكام وطريقة عرضها، ومنهجه اللغوي والصناعة النحوية في تفسيره، وإيراده للقراءات في التفسير، وذلك من خلال استقراء جزء من هذا التفسير لجمع الأمثلة العملية على هذه المنهجية، وبيان مدى الاستفادة من دراسة القواعد والأصول التي سار عليها في تفسيره، وكيف احتوى تفسيره على كثير من العلوم الشرعية واللغوية والعقلية، وكيف جمع بين مدرسة الأثر ومدرسة الرأي مع دقة العبارة وجزالة التركيب وعمق الأسلوب البلاغي.

خطة البحث:

قسمت بحثي إلى: مقدمة وثلاث مباحث مقسمة إلى عدة مطالب، وخاتمة.

المقدمة: وتحتوي على التمهيد ومشكلة البحث وأهداف البحث.

وأما المبحث الأول: فتناولت فيه حياة الإمام البيضاوي والتعريف بتفسيره إجمالاً، وقسمته إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ترجمة الإمام البيضاوي، وذكرت فيه: نسبه ونشأته العلمية وشيوخه وتلامذته وثناء العلماء عليه وأهم مصنفاته ووفاته.

والمطلب الثاني: قيمة تفسير البيضاوي.

والمطلب الثالث: المؤلفات التي كتبت على تفسير البيضاوي.

وأما المبحث الثاني: فتحدثت فيه عن مصادر تفسير البيضاوي وأصول التفسير فيه، وجعلته في أربعة مطالب:

المطلب الأول: مصادره في التفسير.

المطلب الثاني: الطريقة العامة التي سار عليها البيضاوي في تفسيره.

المطلب الثالث: التفسير الأثري عند البيضاوي.

المطلب الرابع: الاسرائيليات في تفسير البيضاوي.

وأما المبحث الثالث: فذكرت فيه منهج البيضاوي في التفسير، وجعلته أربعة مطالب:

المطلب الأول: طريقته في تفسير آيات العقيدة.

المطلب الثاني: طريقته في تفسير آيات الأحكام.

المطلب الثالث: منهجه اللغوي والنحوي والبلاغي.

المطلب الرابع: منهجه في إيراد القراءات.

ثم ذكرت بعد ذلك الخاتمة، واشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها.

ثم المصادر والمراجع، ورتبتها على الحروف الهجائية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد ولد آدم خاتم النبيين وعلى آله وصحبه ومن والاه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

أرسل الله رسوله محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وجعله خاتم النبيين، ومبلغا لجميع الناس عن رب العالمين، وأنزل عليه القرآن تبياناً لكل شيء، فصل فيه أمر الدنيا، وأوضح فيه بيان الآخرة، وجلي فيه للبشرية منهج حياتهم، فكانت آياته قواعد محكمة، ودلائل معجزة، واحتوى على مقاصد الشرع، وشمل أسرار الكمال بما يؤكد صدق خبره وجودة نظمه، فدأب العلماء بالكشف عن تلك المقاصد والدلائل، واعتمدوا النقل الصحيح والرأي السديد في ذلك، ونشأت مدارس واتجاهات مختلفة في تفسير القرآن، ودونوا الكتب النافعة التي تعد مفخرة للأمة، وكان من هؤلاء الأفاضل الإمام القاضي البيضاوي، بما أضافه للمكتبة القرآنية من إفادات جديدة في علم التفسير، وفي هذا البحث نحاول إلقاء الضوء على جهده في هذا العلم، خاصة أنه تفسيره حظي بشهرة كبيرة منذ تأليفه، وهو من أكثر التفاسير التي كتبت عليها حواشي وتعليقات.

مشكلة البحث:

يجيب هذا البحث عن أكثر من سؤال كما يلي:

- ما أهمية تفسير البيضاوي، وسبب اهتمام العلماء به؟

- ما المصادر الرئيسة للبيضاوي في تفسيره، وكيف استفاد منها؟

- ما أهم معالم منهجه في التفسير، وما الأمثلة على ذلك؟

أهداف البحث:

1. دراسة سريعة لحياة الإمام البيضاوي، لبيان أثر ذلك على تأليفه للتفسير.

2. التعريف بتفسير البيضاوي، وقيمتها العلمية مع ذكر أهم الحواشي عليه.

3. بيان أهم مصادره في التفسير، وتطبيقه لأصول التفسير فيه.

4. عرض معالم منهجه في التفسير، مع استقراء بعض الأمثلة التطبيقية منه، وأهم المآخذ عليه.

المبحث الأول: حياة الإمام البيضاوي والتعريف بتفسيره إجمالاً.

المطلب الأول: ترجمة الإمام البيضاوي.

• نسبه:

هو أبو الخير (وقيل أبو سعيد) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي الشافعي، نسبة إلى بيضاء وهي بلدة من أعمال شيراز ببلاد فارس، في جنوب إيران، ولد فيها⁽¹⁾، ولم تذكر المصادر سنة ولادته، لكن أشار بهاء الدين الجُنْدِي إلى أنه عند وفاته كان قد بلغ عمره تسعا وأربعين سنة⁽²⁾، ولم أجد من تابعه على ذلك.

• نشأته ورحلته في طلب العلم⁽³⁾:

كانت نشأته العلمية الأولى في شيراز، فجمع بين الطريقة الفقهية الشافعية من جمع عناصر الثقافة الإسلامية من أصول الدين وأصول الفقه، وعلوم العربية والأدب إلى جانب علوم الشريعة والحكمة، وبين الأسلوب الأعجمي بالترقي في درجات العلوم المختلفة وتحقيق بعضها ببعض تحقيقاً يهدف إلى تكوين الملكة العامة، المتصرفة بالتحصيل، والتحليل والاستنتاج والبحث في العلوم، على نسبة واحدة، وتحرير قوالها التعبيرية، على منهج متحد، وأسلوب مطرد، فبرع في الأصولين والفقه الشافعي والعربية والمنطق، وكان عالماً بفنون المناظرة وآداب المناقشة، صالح السلوك، مجتهداً في العبادة، زاهداً في متاع الدنيا الفاني، وولي قضاء شيراز كأبيه من قبله، ثم صرف عن القضاء فرحل إلى تبريز -وهي مدينة من أعمال أذربيجان-، وتيسر له منصب القضاء بعد حادثة مشهورة دلت على نبوغه، وكشفت عن عبقريته حكاها القاضي تاج الدين السبكي في طبقاته⁽⁴⁾، وقيل: "إنه طال مدة ملازمته، فاستشفع من الشيخ محمد بن محمد الكحتائي، فلما أتاه على عادته، قال: إن هذا الرجل عالم فاضل، يريد الاشتراك مع الأمير في السعير، يعني أنه يطلب منكم مقدار سجادة في النار، وهي مجلس الحكم. فتأثر الإمام البيضاوي من كلامه، وترك المناصب الدنيوية، ولازم الشيخ إلى أن مات، وصنف التفسير بإشارة شيخه، ولما مات دفن عند قبره"⁽⁵⁾.

• شيوخه:

تفقه في المنقولات بأبيه الشيخ الإمام قاضي القضاة إمام الدين عمر بن البيضاوي، وفي المعقولات بشرف الدين شعبة أوحده علماء عصره بشيراز⁽⁶⁾، كما تلقى العلم عن شرف الدين عمر البوشكاني، والشيخ محمد الكحتائي، وقيل: إنه التقى بنصير الدين الطوسي.

• تلاميذه:

من أخذ عنه: محمد بن إبراهيم الزنجاني، وعبد الحميد بن عبد الرحمن الجيلوني، وقَخر الدّين الجاربردي أبو المكارم أحمد بن الحسن⁽⁷⁾، وجمال الدين الكسائي، وروح الدين الطيار، وكمال الدين عمر بن الياس بن يونس المراغي⁽⁸⁾، وعبدالرحمن بن أحمد الأصفهاني.

(1) ينظر: طبقات المفسرين للداوودي (ج 1/ ص 248)، طبقات المفسرين للأدنه وي (ص 254)، الأعلام للزركلي (ج 4/ ص 110).

(2) السلوك في طبقات العلماء والملوك (ج 2/ ص 436).

(3) بتصرف: من كتاب التفسير ورجاله للفاضل بن عاشور.

(4) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ج 8/ ص 158).

(5) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (ج 1/ ص 186).

(6) السلوك في طبقات العلماء والملوك (ج 2/ ص 436).

(7) قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر (ج 5/ ص 442)، بغية الوعاة (ج 1/ ص 303).

• ثناء العلماء عليه:

نال الإمام البيضاوي مكانة علمية بين أهل العلم، وأثنوا على مصنفاته، وتلقوا كتبه بالقبول، وكتب الله لها الانتشار والشيوع على ممر الزمان، كما يظهر في كتب التراجم والسير، ولتلقبه قاضي القضاة، ومما قيل فيه من الأوصاف الجليلة ما يلي:

قال **ابن قاضي شهبة**: "صاحب المصنفات، وعالم أذربيجان، وشيخ تلك الناحية"⁽⁹⁾، وقال **السيوطي**: "كان إماماً علامة، عارفاً بالفقه والتفسير والأصلين والعربية والمنطق، نظّاراً صالحاً، متعبداً، شافعيّاً"⁽¹⁰⁾، وقال **تاج الدين السبكي**: "كان رحمه الله إماماً مبرزاً نظاراً صالحاً متعبداً زاهداً"⁽¹¹⁾.

• من آثاره:

صنف البيضاوي في كثير من الفنون تصانيف نافعة، كما وصفه **الصفدي**: "صاحب التصانيف البديعة المشهورة"⁽¹²⁾، وذلك لكونه عالماً في مختلف أنواع العلوم الإسلامية فاستفاد منها وسخرها لتكون خادمة لتفسير كتاب الله، ومن هذه المؤلفات ما يلي⁽¹³⁾:

- 1- كتاب «منهاج الوصول إلى علم الأصول» وهو مختصر من الحاصل والمصباح واشتهر بالمنهاج، 2- و«شرح» (وهما في أصول الفقه).
- 3- كتاب «طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، واشتهر بالطوالع» (في أصول الدين والتوحيد). 4- «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، والمشهور بتفسير البيضاوي.
- 5- «شرح مختصر ابن الحاجب، وسمي بمبرصاد الأفهام» (في الأصول). 6- «شرح المنتخب للإمام فخر الدين» (في الأصول).
- 7- «شرح المطالع» (في المنطق). 8- «الإيضاح» (في أصول الدين).
- 9- «شرح الكافية» لابن الحاجب (في النحو).
- 10- «لبّ الباب في علم الإعراب». 11- «تاريخ الدول الفارسية، وسمي بنظام التواريخ».
- 12- «رسالة في موضوعات العلوم وتعريفها».
- 13- «الغاية القصوى في دراية الفتوى» (في فروع الفقه الشافعي) وهو مختصر «الوسيط».
- 14- «شرح المحصول من علم الأصول للرازي».
- 15- شرح مصابيح السنة للبخاري (في الحديث)، سماه «تحفة الأبرار».
- 16- «شرح التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي» (في أربعة مجلدات).
- 17- «تهذيب الأخلاق» (في التصوف). 18- «المصباح» (في أصول الدين). 19- مختصر في الهيئة. 20- منتهى المنى في شرح أسماء الله الحسنى.

• وفاته:

توفي بمدينة تبريز، ودفن بها، وقد وقع الخلاف في تاريخ وفاته على أقوال، أشهرها أول قولين:

1. سنة (691 هـ) إحدى وتسعين وستمائة، ذكره السبكي والإسنوي⁽¹⁴⁾.
2. سنة (685 هـ) خمس وثمانين وستمائة، ذكره ابن كثير والصلاح الصفدي والكتبي وابن حبيب⁽¹⁵⁾.

(8) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (ج 4/ ص 184).

(9) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (ج 2/ ص 172).

(10) بغية الوعاة (ج 2/ ص 50).

(11) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ج 8/ ص 157).

(12) الوافي بالوفيات للصفدي (ج 17/ ص 206).

(13) البداية والنهاية (ج 17/ ص 606)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (ج 2/ ص 173)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ج 8/ ص 157).

(14) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (ج 2/ ص 172).

(15) البداية والنهاية (ج 17/ ص 606)، الوافي بالوفيات للصفدي (ج 17/ ص 206).

3. في شهر جمادى الأول سنة (719هـ) تسع عشرة وسبعمائة، ذكره الشهاب الخفاجي في حاشيته، وضعف شمس الدين ابن الغزي هذا القول⁽¹⁶⁾.

4. سنة (692 هـ) اثنتين وتسعين وستمائة، ذكره اليافعي⁽¹⁷⁾.

المطلب الثاني: قيمة تفسير البيضاوي.

يعد تفسير البيضاوي من أمهات كتب التفسير بالرأي المحمود عند أهل السنة والجماعة، وهو من أهم وأشهر التفاسير التي حظيت بقبول جمهور العلماء، فاشتغلوا به إقرأً وتدریسًا وشرحًا في معاهد العلم الديني في أغلب أقطار العالم الإسلامي وعلى رأسها الأزهر والزيوتونة عدة قرون، وهو تفسير مختصر جيد مع سهولة الأسلوب ووضوح العبارة، جمع فيه مؤلفه بين التفسير والتأويل على قواعد اللغة العربية، وضمنه نكتا بارعة، واستنباطات دقيقة، كما قال **حاجي خليفة**: "ولكونه متبحراً جال في ميدان فرسان الكلام فأظهر مهارته في العلوم حسبما يليق بالمقام، كشف القناع تارة عن وجوه محاسن الإشارة وملح الاستعارة، وهتك أستار أخرى ممن أسرار المعقولات بيد الحكمة ولسانها وترجمان الناطقة وبنائها، فحل ما أشكل على الأنام، وذلك لهم صعب المرام وأورد في المباحث الدقيقة ما يؤمن به عن الشبه المضلة، وأوضح له مناهج الأدلة"⁽¹⁸⁾، كما أنه يعتبر من التفاسير البلاغية اللغوية لأن مؤلفه اختصره من الكشاف فتأثر به في هذا الجانب، ويعتبر أيضا من التفاسير العقلية العلمية، وذلك لتأثره بالرازي خاصة في الآيات الكونية والمباحث الكلامية، مع احتواءه على علوم كثيرة بعبارة محكمة دقيقة خاصة في نواحي الإعراب والفقه والأصول والقراءات، ولذلك اعتنى به أهل العلم ووضعوا على شروحات وتعليقات كثيرة، وكان أكثر التفاسير تعليقا، خاصة في عصر الخلافة العثمانية وذلك واضح بالرجوع الى مئات النسخ الموجودة منه في خزائن تركيا اليوم، كما أنه مؤلفه أصولي مشهور فظهر الجانب الفقهي والاستنباط في تفسيره، وبهذا مثل البيضاوي حلقة الوصل بين من سبقه كالزنجشيري والرازي والراغب الأصفهاني بتلخيصه لكتبهم، وبين من جاء بعده وتأثر به كالنسفي وأبي السعود والألوسي وغيرهم من خلال تفصيلهم لما أجمله، كما من أن من أهم مميزاته أنه خال من الاستطرادات والتوسع في جانب الفقه واللغة إلا في بعض المواضع التي تحتاج إلى ذلك، ولهذا كان مناسب للتدريس، كما امتاز تفسيره برشاقة العبارة وغزارة معانيها، كما قال **الشهاب** في حاشيته: "له فيه وفور حظ وسلاسة لفظ، كما قال الباحثي:

قد ركن اللفظ القريب فأدرك ~ ن به غاية المرام البعيد

بل لفظه قريب لكنه أمتع من معشوق له رقيب، وشاؤه بعيد، ولكن ليس لنفس الفكر وراءه تصعيد، فيه أنضر روض طابت ثماره، وتفتحت بيد النسيم أنواره، سقاها من صيب البلاغة هتونه، حتى تشعبت فروعها وهطلت غصونه، نجوه بصوب الوحي مغدق، ودوحه في ربيع المعاني مثمر مورق"⁽¹⁹⁾، وما من مفسر بعد القرن السابع إلا وتفسير البيضاوي أحد مراجعه كما ذكر الفاضل بن عاشور، ومن أحسن ما قال عنه **السيوطي** في حاشيته أنه: "لخصه فأجاد، وأتى بكل مستجد، وماز منه أماكن الاعتزال، وطرح مواضع الدسائس وأزال، وحرر مهمات، واستدرك تمتات، فبرز كأنه سبيكة نُضار، واشتهر اشتهاه الشمس في وسط النهار، وعكف عليه العاكفون، ولهج بذكر محاسنه الواصفون، وذاق طعم دقائقه العارفون، فأكتب عليه العلماء والفضلاء تديسا ومطالعة، وبادروا إلى تلقيه بالقبول رغبة فيه ومسارعة، ومروا على ذلك طبقة بعد طبقة، ودرجوا عليه من زمن مصنفه إلى زمن شيوخوا متسقة"⁽²⁰⁾.

المطلب الثالث: المؤلفات التي كتبت على تفسير البيضاوي.

اكتسب تفسير البيضاوي مكانة رفيعة بين أهل العلم، وأثاروا حوله نشاطا علميا هائلا، حتى إنه ذكر أنه مر زمن على العلماء في الدولة العثمانية، لم يكن يمنح الطالب إجازة للتعليم والتدريس حتى يكتب حاشية على تفسير البيضاوي، وانتشر تدريسه في أقطار العالم الإسلامي حتى وصل دروسه إلى بلاد فارس، وبلاد

(16) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الرازي) (ج 1/ ص 3)، ديوان الإسلام لشمس الدين ابن الغزي (ج 1/ ص 258).

(17) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (ج 4/ ص 165).

(18) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (ج 1/ ص 186).

(19) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الرازي) (ج 1/ ص 2).

(20) نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي) (ج 1/ ص 13).

الأفغان، والأقطار الهندية، كما قال **حاجي خليفة**: "ثم إن هذا الكتاب رُزق من عند الله بحسن القبول عند جمهور الأفاضل والفحول، فعكفوا عليه بالدرس والتحشية، فمنهم من علّق تعليقه على سورة منه، ومنهم من حشى تحشية تامة، ومنهم من كتب على بعض مواضع منه"⁽²¹⁾، وأما التعليقات والحواشي غير التامة عليه فكبيرة جدا وأغلبها لا زال مخطوطا، ذكر الشيخ **عبد الرحمن الشهري** في دروس شرحه لتفسير البيضاوي أنها أكثر من مائة وثلاثين حاشية، وقيل إن صاحب (الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط) ذكر أنها زادت على الثلاث مئة، وقد وقفت على مائة وستة وأربعين اسم حاشية منها على موقع ملتقى أهل التفسير وكتاب كشف الظنون، ولا أطيل بذكرها كلها هنا، لكن نعرض لبعض أمثلة لها على أصناف أربعة كما يلي:

أولا: الحواشي التامة التي تناولت التفسير كله، من أشهرها:

1. حاشية أحمد بن محمد بن عمر المصري القاضي شهاب الدين المعروف بالخفاجي (ت 1069 هـ)، المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي.
2. حاشية محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي محيي الدين الحنفي المعروف بشيخ زاده (ت 951 هـ): قال عنها صاحب كشف الظنون: "وهي أعظم الحواشي فائدة وأكثرها نفعًا وأسهلها عبارة"⁽²²⁾.
3. حاشية العالم مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم المشهور بابن التمجيد-معلم السلطان محمد خان الفاتح (ت نحو 880 هـ).
4. حاشية إسماعيل وهيبي بن محمد بن مصطفى القونوي (ت 1195 هـ).
5. حاشية أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني (ت في حدود سنة 940 هـ).
6. حاشية الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911 هـ)، في مجلد سماها «نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار».
7. حاشية الشيخ أبو بكر بن أحمد بن الصائغ الحنبلي (ت 714 هـ)، سماها (الحسام الماضي في إيضاح غريب القاضي).

ثانيا: التعليقات، (وهي حواشي غير تامة تناولت جوانب معينة، وأمورا محددة من هذا التفسير)، منها:

1. «الإتحاف بتميز ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشف» للشيخ الإمام شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الشامي (ت 942 هـ).
2. تعليقة المحقق عصام الدين إبراهيم بن محمد بن عريشاه الإسفرايني (ت 943 هـ)، وهي مشحونة بالتصرفات اللائقة والتحقيقات الفائقة من أول القرآن إلى آخر الأعراف ومن أول سورة النبأ إلى آخر القرآن، أهداها إلى السلطان سليمان خان، أولها: الحمد لله الذي عم بارفاد إرشاد الفرقان.
3. تعليقة المولى سعد الله بن عيسى بن أمير خان القسطنطيني ثم الرومي الحنفي الشهير بسعدي جلي أفندي (ت 945 هـ)، وهي من أول سورة هود إلى آخر القرآن، وأما التي وقعت على الأوائل فجمعها ولده بير محمد من الهوامش فألحقها إلى ما علقه.

ثالثا: كتب التخريج:

1. «الفتح السماوي بتخريج أحاديث البيضاوي» لعبد الرؤوف المناوي (ت 1031 هـ)، أوله: الله أحمد أن جعلني من خدام أهل الكتاب.
2. «تحفة الراوي في تخريج أحاديث البيضاوي» لمحمد هات زاده (ت 1175 هـ).

(21) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (ج 1/ ص 186).

(22) المصدر السابق (ج 1/ ص 188).

3. «إتحاف الأخيار بتخريج ما في تفسير البيضاوي من الأخبار» لعوض بن محمد بن السقاف الحضرمي الشافعي.

4. «فيض الباري في تفسير أحاديث تفسير البيضاوي» لعبد الله بن صبغة المدراسي (ت 1288هـ)، وهو مخطوط إلى سورة مريم فقط في ست وثمانين ورقة.

رابعاً: المختصرات:

1. «مختصر تفسير البيضاوي» لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي يوسف بن منصور القاهري كمال الدين الشافعي المعروف بإمام الكاملية (ت 874 هـ).

إلى غير ذلك من الدروس التي تم عقدها لقراءة وشرح هذا التفسير، والمناظرات التي وقعت بين العلماء، واهتمام الوراقين والخطاطين بكتابته.

المبحث الثاني: مصادر تفسير البيضاوي وأصول التفسير فيه

المطلب الأول: مصادره في التفسير.

لم يصرح البيضاوي بمصادره التي اعتمدها في التفسير، لكن مصادر ترجمته أوضحت أنه اعتمد على ثلاثة تفاسير أساسية⁽²³⁾، ونقل عنها واستفاد من تحقيقاتهم مع عدم ذكره لأسمائهم بل اكتفى في المقدمة بأنه أخذ عن أمثال المحققين وأفاضل المتأخرين، وهي كما يلي مع مثال لكل منها:

1. **تفسير الكشاف للزمخشري (ت 538 هـ):** وهو من أهم مصادره خاصة فيما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان، فتأثر به في طريقتيه في بيان الألفاظ، والتراكيب، ونكت البلاغة، كما أنه ترك ما فيه من اعتزالات، وإن كان أحياناً يوافق في آراءه، كالذي حصل عند موافقته له في إنكار تلبس الجن بالإنس عند تفسير آية البقرة، وهذا من المآخذ على تفسيره.

ومثال تأثره بالزمخشري في النحو والإعراب: في تفسير قوله تعالى: {ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين}، قال **الزمخشري** في الكشاف: " {لولا} الأولى امتناعية وجوابها محذوف، والثاني تحضيضية، وإحدى الفاءين للعطف، والأخرى جواب لولا، لكونها في حكم الأمر، من قبل أن الأمر باعث على الفعل، والباعث والمحضض من واد واحد. والمعنى: ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي: هلا أرسلت إلينا رسولا، محتجين علينا بذلك: لما أرسلنا إليهم، يعني: أن إرسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجة"⁽²⁴⁾.

وقال **البيضاوي**: " {لولا} الأولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها، لأنها إنما أجيبت بالفاء تشبيهاً لها بالأمر مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على أن القول هو المقصود بأن يكون سبباً لانتفاء ما يجب به، وأنه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى: لولا قولهم إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين، ما أرسلناك أي إنما أرسلناك قطعاً لعذرهم وإلزاماً للحجة عليهم"⁽²⁵⁾.

2. **التفسير الكبير للفخر الرازي (ت 606 هـ) ويسمى أيضاً بمفاتيح الغيب:** وقد لخص وهذب البيضاوي منه ما يتعلق بالعلوم الكونية وعلم الكلام دون

متابعته في الاستطراد فيهما، كما اعتمد عليه في تحرير المعاني الذوقية، وتأثر به في تقرير الأدلة على أصول أهل السنة واستنباط المعاني، وإبراز روح الحكمة

(23) المصدر السابق (ج 1/ ص 186).

(24) تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) (ج 3/ ص 418).

(25) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (ج 4/ ص 180).

القرآنية وعرض نظرياتها من نواحي الفلسفة وأصول الفقه، كما أشار بذلك الشهاب في حاشيته: "وتفسير البيضاوي له من بينها اليد البيضاء لاقتناصه رواتع الأصولين وبدائع الشريعة العزّاء"⁽²⁶⁾.

ومثال تأثيره بتفسير الرازي: ما جاء في تفسير قوله تعالى: {بأسهم بينهم شديد}، قال **فخر الدين الرازي** في التفسير الكبير: "يعني أن البأس الشديد الذي يوصفون به إنما يكون إذا كان بعضهم مع بعض، فأما إذا قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة، لأن الشجاع يجبن والعز يذل عند محاربة الله ورسوله"⁽²⁷⁾.

وقال **البيضاوي**: "أي وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فإنه يشتد بأسهم إذا حارب بعضهم بعضاً، بل لقتد الله الرعب في قلوبهم ولأن الشجاع يجبن والعز يذل إذا حارب الله ورسوله"⁽²⁸⁾.

3. **تفسير الراغب الأصفهاني (ت 502 هـ):** وقد لخص البيضاوي منه ما يتعلق بالاشتقاق وبيان المفردات، وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات، وضمنه تفسيره.

ومثال تأثيره بالراغب الأصفهاني: ما جاء في تفسير قوله تعالى: {بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}، قال **الراغب الأصفهاني** في تفسيره: "وفي استعارة الاحاطة أبلغ تشبيهه، وذلك أن الإنسان إذا ارتكب ذنباً فلم يقلع عنه استجرت إلى معاودة مثله، ومعاودة مثله تجعل على قلبه غشاوة، فتجر به إلى ارتكاب أكبر منه، ثم ارتكابه لا هو أكبر منه يطبع على قلبه، فيشجعه على المداومة عليه، فيصير ذلك عليه حائطاً يمنعه عن رؤية ما وراءه، فيرى في مقابح الذنوب محاسن، فيتخبط في بلايا من دنياه ربما يراها نعمة، فيحسب أن لا وراء اللذات الدنيوية لذة ولا بعد التخصيص بقاء ووراثتها نعما فهذا معنى: (أحاطت به خطيئته)، وعلى ذلك دل قوله تعالى: {ثم كان عقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله}، وقوله: {فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه}، ووجه آخر روى عن السلف وهو إن كان عائداً إلي ما تقدم، فالنظر إليهما مختلف، وهو أن السيئة الكفر، وذلك عن مجاهد وأبي وائل والربيع، فبين تعالى أن من تحرى طريق الكفر، ثم استمر مريرة في ترك الإفلاع إما الترك النظر، وإماما الشرارة، وإماما لشهوة مستولية عليه حتى يصير ذلك كحائط عليه لا خروج له منه، فأولئك أصحاب النار"⁽²⁹⁾.

وقال **البيضاوي**: "وأحاطت به خطيئته أي استولت عليه، وشملت جملة أحواله حتى صار كالحائط بما لا يخلو عنها شيء من جوانبه، وهذا إنما يصح في شأن الكافر لأن غيره وإن لم يكن له سوى تصديق قلبه وإقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به، ولذلك فسرها السلف بالكفر. وتحقيق ذلك: أن من أذنب ذنباً ولم يقلع عنه استجره إلى معاودة مثله والاضمآك فيه وارتكاب ما هو أكبر منه، حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلاً إلى المعاصي، مستحسننا إياها معتقداً أن لا لذة سواها، مبغضاً لمن يمنعه عنها مكذباً لمن ينصحه فيها، كما قال الله تعالى: {ثم كان عقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله}"⁽³⁰⁾.

وهكذا تأثر البيضاوي بمن سبقه، مع التعبير بأسلوبه، وكان يوافقهم أحياناً في القواعد النحوية، أو الدلالات، واستفاد منهم خاصة في علم الكلام والمنطق واللغة.

المطلب الثاني: الطريقة العامة التي سار عليها البيضاوي في تفسيره.

لم يُقدِّم البيضاوي على التفسير إلا بعد أن برع في علوم الدين — كما اشترط في مقدمة تفسيره —، وقد صنّف فيها قبل تأليفه تفسيره، وبذلك حقق أهم شروط المفسر من أن يكون عالماً بالدين أصوله وفروعه واللغة العربية، ولم يذكر البيضاوي منهجه بشكل مفصل في مقدمته، أما منهجه العام فهو أنه يذكر اسم السورة، ثم موطن نزولها (مكية أو مدنية) وما الآيات المستثناة من المجموع الكلي، ثم يذكر عدد آياتها ويبين إن كان مختلفاً فيه — كما ذكر في أول سورة الأنعام والأعراف

(26) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الرازي) (ج 1/ ص 2).

(27) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) (ج 29/ ص 510).

(28) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (ج 5/ ص 201).

(29) تفسير الراغب الأصفهاني (ج 1/ ص 244).

(30) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (ج 1/ ص 90).

والبينة-، ثم يشرع في تفسير الآيات، ولم يرقم الآيات التي تناولها، ولم يتناول كلمات القرآن كلها بالتفسير بل يختار ما يراه أنها بحاجة إلى بيان، وأحيانا يجزئ الآية إلى كلمات أو جمل، وأحيانا الآية كاملة أو أكثر من آية، وحين يتعرض لمعنى الكلمة يرجعها إلى أصلها الاشتقاقي مع ما يتبع ذلك من تغيير أو تبديل أو إدغام في بعض الحروف، وهو يذكر ما يوافق الآية من القرآن أحيانا وما يدل عليها من أقوال الرسول ولا يلتزم ذلك دائما، كما في هذا المثال: "وقيل: معناه لا ريب فيه للمتقين. وهدي حال من الضمير المجرور، والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفى. والريب في الأصل مصدر رابني الشيء إذا حصل فيك الريبة، وهي قلق النفس واضطرابها، سمي به الشك لأنه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة. وفي الحديث "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" فإن الشك ريبة والصدق طمأنينة، ومنه ريب الزمان لنوابه"⁽³¹⁾، وكان يجمع أقوال السابقين من الفقهاء والمحدثين والنحويين بإيجاز واختصار غير محل، بالإضافة إلى أنه ضمنه نكتا واستنباطات ولطائف رائعة، واشتمل أيضا تفسيره على كثير من علوم القرآن: كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والحقيقة والمجاز، والاستعارة، والأمثال، والتعريض والكناية، والخبر والانشاء، والأقسام، والجدل، وفضايا القرآن، وموهم التعارض والاختلاف، وغير ذلك، وإذا عرض للآيات الكونية لا يتركها دون أن يخوض في مباحث الكون والطبيعة والفلك، ولذلك اعتبر من المؤيدون للتفسير العلمي، وما ذكره من وجوه التفسير: ثانيا، أو ثالثا، أو رابعا، أو بصيغة التمريض كقيل، فهو ضعيف: إما مرجوح أو مردود، كما اعتنى بذكر أسباب النزول إن كان للآية سبب نزول، وعبر عنها بصيغ مختلفة مثل: نزلت الآية في كذا، أو روي كذا فنزلت، أو سبب نزول الآية كذا، وغير ذلك، وقد يورد عدة أسباب للنزول دون ترجيح، بالإضافة إلى أنه طبق -في أكثر من موضع- قاعدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، كذلك وقف عند بعض الآيات التي ورد فيها النسخ، وأيد القول بنسخها، وأحيانا يناقشها أو يوردها دون تعقيب، ومثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى {مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} (التوبة 36)، قال رحمه الله: "والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة، وأولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فإنه أعظم وزراً كارتكابها في الحرم وحال الإحرام، وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم وفي الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا ويؤيد الأول ما روى (أنه عليه الصلاة والسلام حاصر الطائف وغزا هوازن بجنين في شوال وذى القعدة)"⁽³²⁾.

المطلب الثالث: التفسير الأثري عند البيضاوي.

أولاً: فسر البيضاوي القرآن بالقرآن في عدة مواضع، منها ما كان يبين المراد منها على المعنى اللغوي، ثم يأتي بآية أخرى لتؤكد المعنى الذي ذهب إليه، ومنها ما كان ليبين المبهم أو يفصل الإجمال، أو ليستدل على ما ذهب إليه من وجوه التفسير أو لتأييد الوجه الإعرابي أو لبيان حجة قراءة شاذة، لكنه لا يعد مكثرًا من تفسير القرآن بالقرآن مثل الزمخشري، ومن أمثلة ما استشهد به من القرآن ما يلي:

- قوله رحمه الله: " {قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} بالوحي والإرشاد إلى ما نصب من الحجج. {دِينًا} بدل من محل {إلى صراط} إذ المعنى، هداني صراطاً كقوله: {وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} أو مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ"⁽³³⁾.
- عند تفسيره لقوله تعالى: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} (التوبة 112)، قال البيضاوي: "التَّائِبُونَ رفع على المدح أي هم التائبون، والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من أهل الجنة وإن لم يجاهدوا لقوله: {وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى}"⁽³⁴⁾.

ثانياً: أورد البيضاوي الأحاديث واستشهد بها في التفسير مجردة عن الأسانيد منها الصحيح والحسن والمعلول والضعيف، وذلك لعدة أغراض كما يلي:

(31) المصدر السابق (ج 1/ ص 36).

(32) المصدر السابق (ج 3/ ص 80).

(33) المصدر السابق (ج 2/ ص 191).

(34) المصدر السابق (ج 3/ ص 99).

- إirاده للحديث لبيان معنى الآية، كما في قول البيضاوي: «{وَالصَّلَاةُ الْوُسْطَى} أي الوسطى بينها، أو الفضلى منها خصوصاً وهي صلاة العصر لقوله عليه الصلاة والسلام يوم الأحزاب «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم ناراً»⁽³⁵⁾.
- إirاده للحديث ليؤيد الحكم الفقهي ويعضد به حجته أو يرد على المخالفين، كما في المثال: "قوله تعالى {فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ} أي وقت عدتهن. والطلاق المشروع لا يكون في الحيض، وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان» فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر «مره فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله تعالى أن تطلق لها النساء»⁽³⁶⁾.
- أن يبين سبب النزول، كما في المثال: "إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} يكفرنها. وفي الحديث «إن الصلاة إلى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر» وفي سبب النزول «أن رجلاً أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال إني قد أصبت من امرأة غير أبي لم آتھا فنزلت»⁽³⁷⁾.
- بيان القصص الموجزة في القرآن بالحديث، كما في قصة أصحاب الأخدود⁽³⁸⁾.
- ختامه للسورة بذكر الحديث المروي عن أبي بن كعب في فضل كل سورة، وهو مما أخذ عليه، لكونه حديثاً موضوعاً باتفاق المحققين كما بين ابن الجوزي في الموضوعات⁽³⁹⁾، وقد اعتذر له العلماء على أنه وقع أيضاً لبعض المفسرين كالزمخشري والواحدي في البسيط والثعلبي، لكونهم ليسوا من أهل الحديث رواية ودراية، ثم كفى الباحثين الإمام عبدالرؤوف المناوي في كتابه والشهاب والحفاجي في حاشيته بيان الروايات الضعيفة والموضوعة في هذا التفسير.
- وهو في الأغلب لا يذكر اسم الراوي، ولم يذكر المصادر الحديثية أو يحكم على الأحاديث إلا نادراً، وأحياناً يختصر الحديث ويكتفي منه بموضع الشاهد، وأحياناً يدخل بعض الأحاديث في بعض كما في قصة أسارى بدر⁽⁴⁰⁾، وتارة يذكر الحديث الصحيح بصيغة التضعيف ويذكر الضعيف بصيغة الجزم.
- ثالثاً:** أورد البيضاوي في تفسيره آثاراً وأقوالاً عن الصحابة والتابعين كما ذكر في مقدمته للتفسير - لكنه لم يكن كثيراً - وذلك لتوضيح وتعزید المعنى، ومن أمثلة ذلك: "فعن علي رضي الله تعالى عنه: تبدل أرضاً من فضة وسموات من ذهب، وعن ابن مسعود وأنس رضي الله تعالى عنهما: يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هي تلك الأرض وإنما تغير صفاتها. ويدل عليه ما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «تبدل الأرض غير الأرض فتبسط وتمد مد الأديم العكاظي»⁽⁴¹⁾، وكثيراً ما ينقل عن السلف دون التصريح بذكر الاسم وبصيغة المبنى للمجهول طلباً للاختصار، كما أنه أكثر النقل عن ابن عباس، أما نقله لأقوال التابعين فيعتبر مقلاً مقارنة بأقوال الصحابة، وقد نقل أقوالاً عن مجاهد وقتادة والضحاك وسعيد بن جبیر وأبي العالية، ومن أتباع التابعين نقل عن ابن عيينة.

المطلب الرابع: الاسرائيليات في تفسير البيضاوي.

-
- (35) المصدر السابق (ج 1/ ص 147).
 - (36) المصدر السابق (ج 1/ ص 141).
 - (37) المصدر السابق (ج 3/ ص 151).
 - (38) المصدر السابق (ج 5/ ص 300).
 - (39) الموضوعات لابن الجوزي (ج 1/ ص 241).
 - (40) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (ج 3/ ص 67).
 - (41) المصدر السابق (ج 3/ ص 203).

كان البيضاوي من المقلين للرواية الإسرائيلية مقارنة بغيره من المفسرين، فلا يذكرها إلا نادراً ويقتصر على بعضها ولا يتوسع فيها، وإن ذكر شيئاً منها أشار إلى وهنها وضعفها، وأحياناً يشير إلى أن هذا الكلام محكي عن اليهود مثل كعب الأبحار الذي أسلم وحسن إسلامه، وأحياناً يشير إلى أن هذا التفسير مأخوذ عن زنادقة أهل الكتاب، وأحياناً لا يرد على الروايات الإسرائيلية بل يكتفي بإيرادها، وأحياناً يرد على الرواية كما قال في نهاية قصة الغرائيق: "وهو مردود عند المحققين"⁽⁴²⁾، وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

- عند تفسيره لقوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَيُدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَبُذِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا} (الإسراء: 7)، قال البيضاوي: "ذلك بأن سلط الله عليهم الفرس مرة أخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه (جودرز)، وقيل (حردوس) قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرا بينهم فوجد فيه دمًا يغلي فسأهم عنه فقالوا: دم قربان لم يقبل منا فقال: ما صدقوني فقتل عليه ألوفاً منهم فلم يهدأ الدم، ثم قال إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحداً، فقالوا: إنه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم، ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك، فاهدأ بإذن الله تعالى قبل ألا أبقى أحداً منهم فهدأ"⁽⁴³⁾، فنلاحظ أن البيضاوي اكتفى بذكر هذه الرواية فقط ولم يتعداها إلى غيرها من الروايات الكثيرة التي ذكرت في بعض كتب التفسير.
- وعند تفسيره لقوله تعالى: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ} (البقرة 102)، قال رحمه الله: "وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس، وتمييزاً بينه وبين المعجزة. وما روي أنهما مثلاً بشرين، وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها: زهرة، فحملتهما على المعاصي والشرك، ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الأوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر"⁽⁴⁴⁾، ونلاحظ هنا أيضاً أن البيضاوي لم ينحرف وراء الإسرائيليات في تفاصيل هذه القصة - كالتي ذكرها الإمام الماتريدي - بل أعرض عنها.
- وفي قصة سليمان وتمثل الشيطان بصورته في قوله تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ} (ص: 34)، قال البيضاوي: "وأظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعاً «أنه قال: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة جاءت بشق رجل، فو الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فرساناً». وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك، فكان يغدوه في السحاب فما شعر به إلا أن ألقى على كرسيه ميتاً فتنبه على خطئه بأن لم يتوكل على الله. وقيل إنه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب ابنته (جرادة)، فأحبها وكان لا يرقاً دمعها جزعاً على أبيها، فأمر الشياطين فمثلوا لها صورته فكانت تغدو إليها وتروح مع ولاتها يسجدن لها كعادتكن في ملكه، فأخبره آصف فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج إلى الفلاة باكباً متضرعاً، وكانت له أم ولد اسمها أمينة إذا دخل للطهارة أعطاها خاتمه وكان ملكه فيه، فأعطاها يوماً فتمثل لها بصورته شيطان اسمه (صخر) وأخذ الخاتم وتحتّم به وجلس على كرسيه، فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء إلا في نسائه وغير سليمان عن هيئته، فأتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته، فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى أربعون يوماً عدد ما عبدت الصورة في بيته، فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعت سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتحتّم به وخر ساجداً وعاد إليه الملك، فعلى هذا الجسد (صخر) سمي به وهو جسم لا روح فيه لأنه كان متمثلاً بما لم يكن كذلك، والخطيئة تغافلته عن حال أهله لأن اتخاذ التماثيل كان جائزاً حينئذ، وسجود الصورة بغير علمه لا يضره"⁽⁴⁵⁾، فجاء البيضاوي بالحديث الصحيح ثم اقتصر على بعض الروايات الإسرائيلية ولم يتوسع مثل بعض المفسرين كالواحدي والشوكاني في هذه القصة.

(42) المصدر السابق (ج 4 ص 75).

(43) المصدر السابق (ج 3 ص 249).

(44) المصدر السابق (ج 1 ص 97).

(45) المصدر السابق (ج 5 ص 29).

إلى غير ذلك من الآثار التي ذكرها في تفصيل بعض القصص القرآني، عند تفسيره لقصة سليمان مع بلقيس أورد رواية في وصف الوفد الذي حمل الهدايا إليه⁽⁴⁶⁾، وما أوردته في وصف المائدة التي نزلت على عيسى وقومه⁽⁴⁷⁾، وقصة بني آدم⁽⁴⁸⁾، وغير ذلك من الآثار التي انتقدتها العلماء.

المبحث الثالث: منهج البيضاوي في التفسير

المطلب الأول: طريقته في تفسير آيات العقيدة.

سار البيضاوي في تفسيره للآيات التي فيها أمر عقدي على منهج المتكلمين بشكل عام، وعلى مذهب الأشاعرة بشكل خاص، ولكونه عاش في بيئة مليئة بالنزاعات الفكرية والفلسفية، حيث كان أتباع الفرق الضالة يشككون الناس في عقائدهم، فجعل تفسيره مليئاً بالرد على المخالفين لأهل السنة. ولأنه اختصره من الكشاف فكان يرد على المعتزلة في أغلب المسائل ويرجح مذهب أهل السنة، عدا بعض المسائل التي تبع فيها صاحب الكشاف، ومثال رده على المعتزلة: عند تفسيره لقوله تعالى: {فَلَا تَلْمُزُونِي وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ}، قال البيضاوي: " {فَلَا تَلْمُزُونِي} بوسوستي فإن من صرح العداوة لا يلام بأمثال ذلك. {وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ} حيث أطمعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم، واحتجت المعتزلة بأمثال ذلك على استقلال العبد بأفعاله وليس فيها ما يدل عليه، إذ يكفي لصحتها أن يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله أصحابنا"⁽⁴⁹⁾.

كما رد على المعتزلة في إنكارهم لرؤية المؤمنين لله في الآخرة عند تفسيره لقوله تعالى: {وَإِذ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} (البقرة: 55)، قال رحمه الله: "لفرط العناد والنعوت وطلب المستحيل، فإنهم ظنوا أنه تعالى يشبه الأجسام فطلبوا رؤيته رؤية الأجسام في الجهات والأحياز المقابلة للرائي، وهي محال، بل الممكن أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية، وذلك للمؤمنين في الآخرة ولأفراد من الأنبياء في بعض الأحوال في الدنيا"⁽⁵⁰⁾.

كما رد على الفلاسفة والملاحدين بالبراهين المنطقية والحجج العقلية من خلال علم الكلام، كما في قوله تعالى: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا} (الأنعام: 76)، قال رحمه الله: "فأراد أن ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم إلى الحق من طريق النظر والاستدلال، وحن عليه الليل ستره بظلامه والكواكب كان الزهرة أو المشتري وقوله: **هَذَا رَبِّي** على سبيل الوضع فإن المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالإفساد، أو على وجه النظر والاستدلال، وإنما قاله زمان مراهقته أو أول أوان بلوغه. **فَلَمَّا أَفَلَ** أي غاب. **قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ** فضلاً عن عبادتهم فإن الانتقال والاحتجاب بالأستار يقتضي الإمكان والحدوث وينافي الألوهية"⁽⁵¹⁾.

وقد وافق أهل السنة في كثير من مسائل الاعتقاد كالقدر والمعية وغير ذلك، لكن من المآخذ عليه:

- أنه أول بعض الصفات على طريقة الأشاعرة: كالوجه والعين واليد والعلو والحجيء والمحبة والغضب والعجب والرحمة والحياء، وفيما يلي بعض الأمثلة:

(46) المصدر السابق (ج 4/ ص 160).

(47) المصدر السابق (ج 2/ ص 150).

(48) المصدر السابق (ج 2/ ص 123).

(49) المصدر السابق (ج 3/ ص 197).

(50) المصدر السابق (ج 1/ ص 81).

(51) المصدر السابق (ج 2/ ص 169).

صفة الرحمة: عند تفسيره للبسملة، قال البيضاوي: "والرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ اسمان بنيا للمبالغة من رحم، كالغضبان من غضب، والعليم من علم، والرحمة في اللغة: رقة القلب، وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان، ومنه الرَّحِمُ لانعطافها على ما فيها. وأسماء الله تعالى إنما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادئ التي تكون انفعالات" (52).

صفة الغضب: عند قوله تعالى: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} (الفاتحة 7)، قال رحمه الله: "والغضب: ثوران النفس إرادة الانتقام، فإذا أسند إلى الله تعالى أريد به المنتهى والغاية على ما مر" (53).

صفة الكلام: وفي قوله تعالى: {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى} (طه 11)، قال البيضاوي: "قبل إنه لما نودي قال: من المتكلم قال: إني أنا الله، فوسوس إليه إبليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال: أنا عرفت أنه كلام الله بأني أسمعه من جميع الجهات وبجميع الأعضاء. وهو إشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقياً روحانياً، ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة" (54).

صفة الفوقية: في قوله تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} (الأنعام 18)، قال رحمه الله: "تصوير لقهره وعلوه بالغبلة والقدرة" (55).

صفة العين: وفي قوله تعالى: {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا} (هود 37)، قال البيضاوي: "ملتبساً بأعيننا، عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل" (56).

والصواب فيما سبق من الصفات إثباتها لله كما وردت وبما يليق به، ولا حاجة للتأويل.

- كما أنه سار في تعريفه للتوحيد على منهج المتكلمين الذين يرون معنى الواحد هو نفي التبعض والتركيب والتعدد والتثنية ونفي الجسمية والجهة وغيرها من المصطلحات الكلامية، كما في قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} (الإخلاص: 1)، قال البيضاوي: "واحد بدل أو خير ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال، إذا الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد، وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية" (57).
- كما سلك منهج المتكلمين وألفاظهم وأدلتهم على وجود الله وهي دليل الحدوث ودليل الإمكان، كما في تفسير قوله تعالى: {الحمد لله رب العالمين} (الفاتحة: 2)، قال رحمه الله: "والعالم اسم لما يعلم به، كإخاتم والقالب، غلب فيما يعلم به الصانع تعالى، وهو كل ما سواه من الجواهر والأعراض، فإنها لإمكانها وافتقارها إلى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده، وفيه دليل على أن الممكنات كما هي مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة إلى المبقي حال بقائها" (58).

المطلب الثاني: طريقته في تفسير آيات الأحكام.

كان البيضاوي عندما يتعرض لآيات الأحكام يذكر المذاهب الفقهية باختصار من غير أدلة تفصيلية، مع ترجيحه وتأييده في الأغلب للمذهب الشافعي فهو من كبار فقهاء الشافعية، وكان يقتصر على ذكر المذهب الحنفي والمالكي والشافعي، ولم يذكر المذهب الحنبلي إلا نادراً، ومثال ذلك:

(52) المصدر السابق (ج 1/ ص 27).

(53) المصدر السابق (ج 1/ ص 31).

(54) المصدر السابق (ج 4/ ص 24).

(55) المصدر السابق (ج 2/ ص 157).

(56) المصدر السابق (ج 3/ ص 134).

(57) المصدر السابق (ج 5/ ص 347).

(58) المصدر السابق (ج 1/ ص 28).

- عند قوله تعالى: { الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ } (البقرة 197)، قال رحمه الله: " {معلومات} معروفات وهي: شوال وذو القعدة وتسعة من ذي الحجة بليلة النحر عندنا، والعشر عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى. وذو الحجة كله عند مالك. وبناء على الخلاف على أن المراد بوقته وقت إحرامه، أو وقت أعماله ومناسكه، أو ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقاً، فإن مالكاً كره العمرة في بقية ذي الحجة. وأبو حنيفة رحمه الله وإن صح الإحرام به قبل شوال فقد استكرهه" (59).
- وعند قوله تعالى: { وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا } (المجادلة 3)، قال البيضاوي: "أي إلى قولهم بالتدراك ومنه المثل: عاد الغيث على ما أفسد، وهو بنقض ما يقتضيه، وذلك عند الشافعي بإمسك المظاهر عنها في النكاح زماناً يمكنه مفارقتها فيه، إذ التشبيه يتناول حرمة لصحة استثنائها عنه، وهو أقل ما ينتقض به. وعند أبي حنيفة باستباحة استمتاعها، ولو بنظرة شهوة. وعند مالك بالعزم على الجماع، وعند الحسن بالجماع. أو بالظهار في الإسلام، على أن قوله يَظْهَرُونَ بمعنى يعتادون الظهار إذ كانوا يظاهرون في الجاهلية، وهو قول الثوري، أو بتكراره لفظاً وهو قول الظاهرية، أو معنى بأن يحلف على ما قال وهو قول أبي مسلم، أو إلى المقول فيها بامساکها، أو استباحة استمتاعها أو وطفها" (60).
- وفي قوله تعالى: { فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ } (البقرة 173)، قال رحمه الله: "فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول أحمد رحمهما الله تعالى" (61).

المطلب الثالث: منهجه اللغوي والنحوي والبلاغي.

اهتم البيضاوي بالصناعة اللغوية والنحوية، دون استفاضة أو توسع، وكان لها نصيباً كبيراً في تفسيره:

- فهو يقف عند أصل الكلمة واشتقاقها واستعمالات العرب لها، فعند قوله تعالى: { كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً } (التوبة 8)، قال البيضاوي: "إلا حلفاً. وقيل: قرابة، قال حسان: لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ ... كَيْلَ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ وقيل: ربوبية، ولعله اشتق للحلف من الإل وهو: الجوار، لأنهم كانوا إذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه، ثم استعير للقرابة لأنها تعقد بين الأقارب ما لا يعقده الحلف، ثم للربوبية والتربية. وقيل: اشتقاقه من: أَلَّ الشيء إذا حدده أو من: آل البرق إذا لمع. وقيل إنه عبري بمعنى الإله، لأنه قرئ (إيلا) كجبرئيل وجبرئيل" (62).
- واهتم ببيان معاني الحروف، ومثال ذلك في قوله تعالى: { مَا فَطَرْتُمْ فِي يُوسُفَ }، قال رحمه الله: "و(ما) مزيدة ويجوز أن تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا، ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف، أو على اسم (أَنَّ) وخبره (في يُوسُفَ) أو (مِنْ قَبْلُ) أو الرفع بالابتداء والخبر (مِنْ قَبْلُ) وفيه نظر، لأن (قَبْلُ) إذا كان خبراً أو صلة لا يقطع عن الإضافة حتى لا ينقص وأن تكون موصولة أي: ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الجنابة ومحلّه ما تقدم" (63).

(59) المصدر السابق (ج 1/ ص 130).

(60) المصدر السابق (ج 5/ ص 192).

(61) المصدر السابق (ج 1/ ص 120).

(62) المصدر السابق (ج 3/ ص 72).

(63) المصدر السابق (ج 3/ ص 173).

- ويذكر وجوه الإعراب في كثير من المواضع بهدف إبراز المعاني، كما في تفسير قوله تعالى { **أَلَمْ** }، قال البيضاوي: "واعلم أن الآية تحتل أوجهاً من الإعراب: أن يكون { **أَلَمْ** } مبتدأ على أنه اسم للقرآن. أو السورة. أو مقدر بالمؤلف منها، وذلك خبره وإن كان أخص من المؤلف مطلقاً، والأصل أن الأخص لا يحمل على الأعم لأن المراد به المؤلف الكامل في تأليفه البالغ أقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك" (64).

- وكان يقول بوجود الألفاظ ذات الأصول الأعجمية، كما في قوله تعالى: { **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ** } (آل عمران 3)، قال رحمه الله: "واشتقاقهما من الورى والنجل، ووزنهما بتفعلة وافعليل تعسف لأحدهما أعجميان، ويؤيد ذلك أنه قرئ «الأنجيل» بفتح الهمزة وهو ليس من أبنية العربية" (65).

- وهو يلخص ما ذكره الزمخشري في الجانب النحوي، وقد يرد عليه كما في قوله تعالى: { **فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امِرَاتَكَ** } (هود 81)، قال البيضاوي رداً على الزمخشري: "ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في أنه خلفها مع قومها أو أخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قومها فأدركها حجر فقتلها، لأن القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة، والأولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله: وَلَا يَلْتَفِتْ مثله في قوله تعالى: { **مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ** } ولا يبعد أن يكون أكثر القراء على غير الأفصح، ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحاً ولذلك علل على طريقة الاستئناف بقوله: { **إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ** } ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعاً على قراءة الرفع" (66).

- كما أنه أظهر وأبرز بلاغة القرآن، وأورد بعض الشواهد الشعرية التي ذكرها الزمخشري، كما في قوله تعالى: { **صُمُّ بُكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** } (البقرة 18)، قال رحمه الله: "صُمُّ بُكْمٌ عُمِّي لما سدوا مسامعهم عن الإصاخة إلى الحق وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم ويتبصروا الآيات بأبصارهم، جُعِلُوا كَأَنَّمَا أَيْفَتْ مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله: صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ ... وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

وكقوله: أَصَمُّ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي لَا أُرِيدُهُ ... وَأَسْمَعُ خَلْقِ اللَّهِ حِينَ أُرِيدُ

وإطلاقها عليهم على طريقة التمثيل، لا الاستعارة إذ من شرطها أن يطوي ذكر المستعار له، بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير:

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّتْلَاحِ مُقَدِّفٍ ... لَهُ لَيْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمِ

ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحاً كما قال أبو تمام الطائي: وَيَصْعَدُ حَتَّى يُظَنَّ الْجَهْلُ ... بَأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ

وهاهنا وإن طوى ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق به، ونظيره: أَسَدٌ عَلِيٌّ فِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ ... فَتَحَاءُ تَنْفَرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ

هذا إذا جعلت الضمير للمناققين على أن الآية فذللك التمثيل ونتيجته، وإن جعلته للمستوقدين، فهي على حقيقتها" (67).

المطلب الرابع: منهجه في إيراد القراءات.

ذكر القاضي البيضاوي منهجه في إيراد القراءات إجمالاً في مقدمة التفسير بقوله: "ويُعرَبُ عن وجوه القراءات المشهورة المعزوة إلى الأئمة الثمانية المشهورين، والشواهد المروية عن القراء المعتمدين" (68)، أما منهجه في القراءات بشكل تفصيلي فلم يحدده، وقد ذكر **الشهاب** في حاشيته المراد من قول البيضاوي بالقراء الثمانية: "والثمانية هم القراء السبعة المشهورون، والثامن يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري ورواياه روح بفتح الراء وروشى بالتصغير، والشاذ ما وراء السبعة

(64) المصدر السابق (ج 1/ ص 36).

(65) المصدر السابق (ج 2/ ص 5).

(66) المصدر السابق (ج 3/ ص 143).

(67) المصدر السابق (ج 1/ ص 50).

(68) المصدر السابق (ج 1/ ص 23).

والأصح أنه ما فوق العشر وأحكامه مبسوطه في محلها"⁽⁶⁹⁾، واعتناؤه بقراءة يعقوب الحضرمي لم يكن من منهجية جل المفسرين، وقد تتبع كثير من المحققين والباحثين إيراد البيضاوي للقراءات وبينوا أهم ملامح منهجه في النقاط التالية⁽⁷⁰⁾:

أولاً: أنه لم يظهر بشكل واضح أي القراء الذين اعتمد قراءته في تفسيره، فكان يذكر القراءة التي أجمع عليها القراء الثمانية ويفسرها، ثم يعطف عليها القراءات الأخرى بالواو، فإذا اختلفوا قدم قراءة الجمهور دون عزو في الأغلب ويفسرها، ثم يعطف عليها القراءات الأخرى، وقليلاً ما يعطف قراءة الجمهور على الأقل، وفي بعض الأحيان يعزو إلى جميع القراء الثمانية، لكن من المرجح أنه لم يعتمد على رواية حفص عن عاصم، وأكثر احتماليين ذكرهما الباحثون: أنه يكثر من الإشارة إلى قراءة نافع ويوجه معناها، ويعتمد كثيراً على قراءة أبي عمرو البصري وهذا الاحتمال لكونها الغالبة في ذلك الزمن على تلك النواحي في العراق وبلاد فارس، ولكن يرد هذين الاحتمالين عدم اطراد هذه القاعدة في أكثر من موضع، كما في الأمثلة التالية:

- عند تفسيره لقوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ } (محمد: 25)، قال البيضاوي: "وأملى لهم ومد لهم في الآمال والأمان، أو أمهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب: وأملى لهم، أي: وأنا أملي لهم، فتكون الواو للحال أو الاستئناف، وقرأ أبو عمرو: وأملى لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان أو لهم"⁽⁷¹⁾، فبان أنه لم يعتمد قراءة أبي عمرو دائماً، وإنما أفردها بعد ذكر قراءة الجمهور في هذا المثال، كما أنه كان يكثر من عدد آي السور على العد الكوفي، عدا بعض المواضع على العد البصري.
- وعند تفسيره لآية الحديد: { فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }، قال البيضاوي: "ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد لأن معناه ومن يعرض عن الإنفاق فإن الله غني عنه وعن إنفاقه محمود في ذاته لا يضره الإعراض عن شكره ولا ينفعه التقرب إليه بشكر من نعمه، وفيه تهديد وإشعار بأن الأمر بالإنفاق لمصلحة المنفق. وقرأ نافع وابن عامر فإن الله الغني"⁽⁷²⁾، فذكر خلاف نافع أولاً.
- وفي سورة البقرة: قال البيضاوي: "وإذ { وَعَدْنَا } موسى أربعين ليلة لما عادوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى أن يعطيه التوراة، وضرب له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لأنها غرر الشهور. وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمة والكسائي { وَعَدْنَا } لأنه تعالى وعده الوحي. ووعده موسى المجيء للميقات إلى الطور"⁽⁷³⁾، فذكر قراءة الأقل أولاً ثم ذكر قراءة الجمهور.
- ثانياً:** أنه لم يلتزم منهجاً واحداً في ترتيب القراء، فتارة يقدم قارئاً وتارة يؤخره حسب ما يقتضيه السياق، لكن في الأغلب يقدم ابن كثير على نافع، ثم يسير على الترتيب المعروف، وأحياناً يقدم نافعاً على ابن كثير، وابن عامر على أبي عمرو، وإذا انفرد الراوي عن القارئ فإنه يؤخره في الترتيب، ولم يلتزم ذلك منهجاً واضحاً، كما في الأمثلة التالية:
- فعند تفسيره لقوله تعالى { أَوْ تَسْقُطُ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِيفًا } (الإسراء: 92) قال رحمه الله: "وقد سكنه ابن كثير وأبو عمرو وحمة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن إلا في (الروم)، وابن عامر إلا في هذه السورة، وأبو بكر ونافع في غيرهما، وحفص فيما عدا (الطور)، وهو إما مخفف من المفتوح، كسبَدْرٍ وَسُدْرٍ، أو فَعَلَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ كَالطَّحْنِ بِمَعْنَى الْمَطْحُونِ"⁽⁷⁴⁾.

69) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الرازي) (ج 1/ ص 15).

70) لخصتها من عدة مقالات على موقع ملتقى أهل التفسير.

71) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (ج 5/ ص 123).

72) المصدر السابق (ج 5/ ص 190).

73) المصدر السابق (ج 1/ ص 80).

74) المصدر السابق (ج 3/ ص 266).

- وعند تفسيره لقوله تعالى { **وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا غَمِلُوا لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ** } (آل عمران: 178) قال البيضاوي: "وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو عاصم والكسائي ويعقوب ب**الباء** على إنَّ { **الذين** } فاعل، وأن مع ما في حيزه مفعول، وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وحمة وعاصم. والإملاء: الإمهال وإطالة العمر" (75).

ثالثاً: أنه حاول تمييز القراءات السبع المتواترة عن الشاذة من خلال عزو القراءة المتواترة لأصحابها، وتصديرها بصيغة الجزم (قرأ) ونحوه، وتصدير القراءة الشاذة بصيغة المجهول أو التمرىض (قُرئ) ونحوه ولم يعزها أو ينسبها، وهذا هو الغالب، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- عند تفسيره لقوله تعالى: { **وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرَثٌ حِجْرٌ** } (الأنعام: 138)، قال رحمه الله: "قُرئ **حُجْرٌ** بالضم، و**حِجْرٌ** أي: مُصَيِّقٌ" (76).
- وعند قوله تعالى: { **وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ** } (البقرة: 7)، قال البيضاوي: "وقرئ بالنصب على تقدير، وجعل على أبصارهم غشاوةً أو على حذف الجار وإيصال الختم بنفسه إليه والمعنى: وختم على أبصارهم بغشاوة" (77).
- وعند قوله تعالى { **وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ** } (التكوير: 4)، قال البيضاوي: "عُطِّلَتْ تُرِكَتْ مُهْمَلَةٌ، أَوْ السَّحَائِبُ عَطَّلَتْ عَنِ الْمَطَرِ، وَقُرئ بِالتَّخْفِيفِ" (78).
- وعند قوله تعالى { **ذُو الْعَرْشِ** } (البروج: 15)، قال رحمه الله: "وَقُرئ { **ذِي الْعَرْشِ** } صِفَةً لـ { **رَبِّكَ** }" (79).

كما ورد عنه التصريح بالنبي فيما نُسب إليه من روايات، وكذلك بعض الصحابة وغيرهم وذلك نادراً، كما سبق الذكر في المقدمة وعلل بأنها مروية عن القراء المعترين، كما في قوله تعالى { **لَا رِبَّ فِيهِ** } (البقرة: 2)، قال البيضاوي: "وفي قراءة أبي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس" (80).

رابعاً: أنه يُصرح غالباً بأسماء القراء الثمانية المشهورين، ورواتهم عند ذكره لقراءاتهم، وبعض الأحيان يستخدم مصطلحات للدلالة على أعيانهم كالحجازيان (ابن كثير ونافع) أو الكوفيون (عاصم وحمة والكسائي) أو البصريان (أبو عمرو ويعقوب) أو الشامي (ابن عامر)، كما في تفسيره لقوله تعالى { **رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ** } (النبأ: 37)، قال البيضاوي: "بدل من { **ربك** } وقد رفعه الحجازيان، وأبو عمرو على الابتداء. { **الرحمن** } بالجرّ صفة له وكذا في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب، وبالرفع في قراءة أبي عمرو، وفي قراءة حمزة والكسائي بجر الأول ورفع الثاني على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره: لا يملكون منه خطاباً" (81).

خامساً: أنه اهتم بذكر اختلاف القراء في فرش الحروف، وبيان ما فيها من معان تفسيرية وبيانية، ويعد أكثر من ذكرها وذكر الأصول مقارنة بغيره من المفسرين، خاصة إذا انفرد نافع في كثير من المواضع، كما في الأمثلة التالية:

- في قوله تعالى: { **فِي لُوحٍ مَّخْفُوظٍ** } (البروج: 22)، قال رحمه الله: "وقرأ نافع **مَخْفُوظٌ** بالرفع صفة للقرآن" (82).
- وقوله تعالى: { **وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا حَرْمَ لَّهُمْ النَّارُ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ** } (النحل: 62)، قال رحمه الله: "وقرأ نافع بكسر الراء على أنه من الإفراط في المعاصي" (83).

(75) المصدر السابق (ج 2/ ص 50).

(76) المصدر السابق (ج 2/ ص 184).

(77) المصدر السابق (ج 1/ ص 43).

(78) المصدر السابق (ج 5/ ص 289).

(79) المصدر السابق (ج 5/ ص 301).

(80) المصدر السابق (ج 1/ ص 37).

(81) المصدر السابق (ج 5/ ص 281).

(82) المصدر السابق (ج 5/ ص 302).

- وقوله تعالى: { **ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيَنْ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ** } (النحل 27)، قال البيضاوي: "وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاققوني" (84).

- وقوله تعالى: { **قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** } (المائدة 119)، قال البيضاوي: "وقرأ نافع { **يَوْمٌ** } بالنصب على أنه ظرف لقال وخبر هذا محذوف، أو ظرف مستقر وقع خبراً والمعنى هذا الذي مر من كلام عيسى واقع يوم ينفع" (85).

- وقوله تعالى: { **قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ تَفْصِيلٌ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** } (الأعراف 32)، قال رحمه الله: " { **خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** } لا يشاركون فيها غيرهم، وانتصاحبها على الحال. وقرأ نافع بالرفع على أنها خبر بعد خبر" (86).

سادساً: اهتم البيضاوي بتوجيه القراءات المتواترة والشاذة في بعض المواضع، خاصة التوجيه النحوي والبياني، ومثاله:

- في قول الله تعالى: { **وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِي** }، قال رحمه الله: "وقرأ ابن كثير «قال» بغير واو لأنه قال ما قاله جواباً لمقالمهم، ووجه العطف أن المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد" (87).

- وقوله تعالى: { **بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** } (الأنفال 9)، قال البيضاوي: "متبعين المؤمنين، أو بعضهم بعضاً، من أردفته أنا إذا جئت بعده، أو متبعين بعضهم بعض المؤمنين، أو أنفسهم المؤمنين من أردفته إياه فردفه. وقرأ نافع ويعقوب **مُرْدِفِينَ** بفتح الدال أي متبعين أو متبعين، بمعنى أنهم كانوا مقدمة الجيش أو ساقتهم. وقرئ «**مُرْدِفِينَ**» بكسر الراء وضمها، وأصله مرتدفين، بمعنى مترادفين، فأدغمت التاء في الدال، فالتقى ساكنان، فحركت الراء بالكسر على الأصل، أو بالضم على الاتباع" (88).

سابعاً: أنه يختار ويرجح في بعض الأحيان بين القراءات والأوجه المتواترة، أو بين المتواترة والشاذة، وقد يرجح الشاذة على المتواترة، باعتبار الفصح والأفصح، والبليغ والأبلغ، كما في الأمثلة الآتية:

- عند تفسير قوله تعالى: { **لَا يَتَّبِعُنَّ فِيهَا أَخْقَابًا** } (النبأ: 23)، قال رحمه الله: "وقرأ حمزة وروح { **لَبِثِينَ** }، وهو **أَبْلَغُ**" (89).

- وقوله تعالى: { **وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفْلا تَعْقِلُونَ** } (القصص: 60)، قال البيضاوي: "أفلا تعقلون فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، وقرأ أبو عمرو بالياء، وهو **أَبْلَغُ** في الموعظة" (90).

- وقوله تعالى: { **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** } (الفاتحة: 4)، قال البيضاوي: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ قراءة عاصم والكسائي ويعقوب، ويعضده قوله تعالى { **يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأمرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ** }، وقرأ الباقون: { **مَلِكِ** }. وهو **المختار** لأنه قراءة أهل الحرمين، ولقوله تعالى { **لَمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ** }. ولما فيه من التعظيم، والمالك: هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف شاء من الملك، والمالك: هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من الملك" (91).

(83) المصدر السابق (ج 3 / ص 231).

(84) المصدر السابق (ج 3 / ص 224).

(85) المصدر السابق (ج 2 / ص 152).

(86) المصدر السابق (ج 3 / ص 11).

(87) المصدر السابق (ج 4 / ص 178).

(88) المصدر السابق (ج 3 / ص 51).

(89) المصدر السابق (ج 5 / ص 280).

(90) المصدر السابق (ج 4 / ص 182).

(91) المصدر السابق (ج 1 / ص 28).

ثامنا: أنه سلك منهج بعض المفسرين كالزحاشي وغيره من النحويين في توهين بعض القراءات وتضعيفها، ولم يقتصر على الشاذة منها، بل تعداه إلى رد بعض الأوجه المتواترة وتلحينها، بدعوى مخالفتها للوجوه الصحيحة في العربية، وذلك مما انتقده العلماء عليه، كما في تفسيره لقوله تعالى: { **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ** } (النساء: 1)، قال البيضاوي: "وقرأ حمزة بالجر عطفاً على الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة"⁽⁹²⁾.

الخاتمة:

بعد هذه السطور الوجيزة مع الإمام البيضاوي، والتعريف بتفسيره القيم، يمكن أن نوجز أهم نتائج البحث فيما يلي:

- غاب عن المؤرخين تأريخ ميلاد الإمام البيضاوي، أما تأريخ وفاته فقد تباينت أقوالهم وآرائهم، ويمكن والله أعلم ترجيح قول الجمهور أنه عام 685 هـ.
- كثرة الحواشي عليه التي بينت أثره وقوته العلمية وكانت إثراء له، كان من أهم أسبابها تكمنه من العلوم الإسلامية مع رشاقة العبارة وغنى معانيها.
- تأثر البيضاوي الشديد بالزحاشي والأصفهاني وتلخيص تفسيرهما، وظهور ذلك في اهتمامه بجانب البلاغة والإعراب.
- من أهم مميزات تفسير البيضاوي: التكامل بين التفسير المأثور والتفسير بالرأي المحمود مع غلبة الجانب العقلي على النقل.
- من مميزات: اختصاره للتفسير مع غزارة المادة ومتانة العبارة، مما جعل تفسيره حجمه متوسطاً ومناسباً للتدريس.
- قلة إيراده للإسرائيليات، وهذا من مميزات تفسيره، وإن كان الأفضل أن لو لم يتابع المفسرين في نقل هذه الأخبار لكثرة الوضع فيها.
- من المآخذ على تفسيره: أنه لم يبحث ويتحرى صحة الأحاديث الواردة، وإقحامه مسائل علم الكلام في تفسيره، كما أنه أول بعض آيات الصفات.
- مع استفادته ممن قبله من المفسرين، إلا أنه كان له إضافة مميزة خاصة في الرد على المخالفين في الجوانب العقدية، وتميزه في عرض علوم اللغة، ولكونه أصولي حاذق، فبين الأحكام الفقهية.
- جمعه لأصول العلوم كالفقه وأصوله واللغة وفروعها والمنطق وعلم الكلام والتاريخ، كان له الأثر على القيمة العلمية التي أضافها في التفسير.

اللهم نور قلوبنا بآيات التنزيل، وبلغنا أسرارها بتعلم التأويل، وأعنا بما على الرضا بقضائك واکفنا بفهمها لنحظى بنعمائك، ولا تقطع عنا رفقك وعونك يا أكرم الأكرمين.

المصادر والمراجع:

- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر - مايو 2002 م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ.
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1418 هـ.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان/صيدا.
- البيضاوي مفسراً، الدكتور عبد العزيز حاجي، دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، 1434هـ - 2013م.
- تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، جزء 1، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 1999 م.

- التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت: 1398هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة.
- التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية، سنة النشر: 1390 - 1970.
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الرازي)، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت: 1069هـ)، دار صادر - بيروت.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، الطبعة الثانية، 1392هـ / 1972م.
- ديوان الإسلام، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت: 1167هـ)، المحقق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1990 م.
- السلوك في طبقات العلماء والملوك، محمد بن يوسف بن يعقوب، أبو عبد الله، بهاء الدين الجُنْدِي اليميني (ت: 732هـ)، تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الأكوخ الحوالي، دار النشر: مكتبة الإرشاد - صنعاء -، الطبعة الثانية، 1995م.
- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: 771هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي - د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1413هـ.
- طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت: 851هـ)، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، 1407 هـ.
- طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت: 945هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي (ت: ق 11)، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم - السعودية، الطبعة الأولى، 1417هـ.
- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي باخرمة، الهجراني الحضرمي الشافعي (870 - 947 هـ)، غني به: بو جمعة مكري/خالد زواري، دار المنهاج - جدة، الطبعة الأولى، 1428 هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - 1407 هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت: 1067هـ)، مكتبة المثنى - بغداد، تاريخ النشر: 1941م.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان الياضي (ت: 768هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997 م.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - 1420 هـ.
- الموضوعات، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ج 1، 2: 1386 هـ - 1966 م ج 3: 1388 هـ - 1968 م.
- نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، (3 رسائل دكتوراة)، عام النشر: 1424 هـ - 2005 م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: 764هـ)، المحقق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: 1420هـ - 2000م.